

كتاب الشهر

مجلّد يسترجع روائعه ويعيده إلى الضوء

مارون عبّود: «أديب الشعب» و«شيخ القصة اللبنانية»

كان ادبه مسكونا بهواجسه الانسانية والوطنية والقومية. هكذا يمكن اختصار الاديب والناقد اللبناني مارون عبود. صاحب الحس الساخر والظرافة الشعبية المميزة، يعود الى الضوء من خلال كتاب جمع اجمل اعماله في مجال الشعر والادب والقصة والمقالة. فادي وديع عبود الذي اعد كتاب «روائع مارون عبود» («كتابنا للنشر» - الملتن)، يذكرنا باحد الرواد الذي نهل من حكايا المجتمع الريفي اللبناني وخرج باعمال خالدة فعلا

صحيح ان مارون عبود (1886 - 1962) لقب «شيخ النقاد العرب» من بين الالقاب الكثيرة التي التصقت به، الا ان فادي وديع عبود الذي اعد كتاب «روائع مارون عبود» فضل انتقاء اجمل ما كتبه القاص الراحل في مجال الاقوال، والشعر، والقصة والمقالات. هكذا، اختار مثلا قصة «موعظة القيامة» من كتابه الشهير «وجوه وحكايات» (1945)، و«ركبوه العجل» من كتابه «احاديث القرية» (1957) و«الشیطان والبيضة» من كتابه «من الجراب» (1953)... مهمة خطيرة وحساسة اخذها على عاتقه تمثلت في اختزال 60 مؤلفا انجزها الراحل طوال مسيرته، وجمعها في كتاب يقدم للقارئ تجربة غنية ومتشعبة ومركبة شكلها صاحب «وجوه وحكايات».

الاخطر في هذه المهمة ان فادي وديع عبود، اعلم ذائقته الادبية والفنية اولا في اختيار هذه النصوص والقصص. لكن يمكن القول انه نجح في انتقاء «احلى ما كتبه

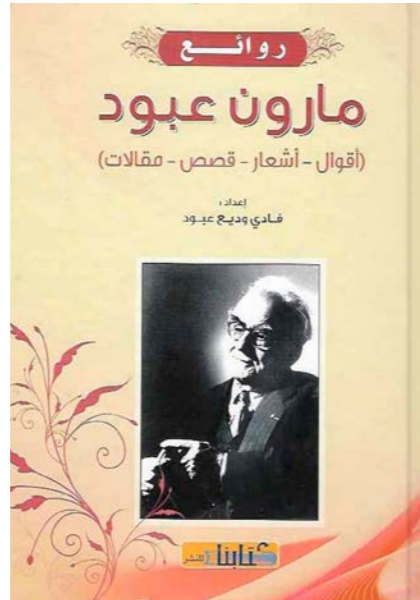
شيخ الابداء العرب في مرحلة زاهية من مراحل نهضتنا الادبية والفكرية»، وفق ما اورد وليد عبود - حفيد مارون عبود - في مقدمة الكتاب. عدا ابراز خصوصية هذه التجربة فنيا واسلوبيا من خلال الاعمال المنتقاة في الكتاب، فان فادي وديع عبود اخذ في الاعتبار ايضا الهواجس والانشغالات الاجتماعية والسياسية والهواجس الاصلاحية التي كانت تقود مارون عبود في نتاجه الفكري والادبي، ابرزها نبذ

والساخر واللاذع الذي طبع كتاباته. ينتمي مارون عبود الى جيل من الكتاب ممن عاصروا الاحتلال والحربين الاولين والمجاعة ثم التحرير وولادة لبنان كما نعرفه اليوم. هو الذي ولد في عين كفاع (قضاء جبيل) في كنف عائلة محافظة ومتدينة من الطبقة الوسطى. في «مدرسة تحت السنديانة»، بدأ يتعلم فك الحرف. يحكى ان شخصيته المحبة للهو، اجبرت جده خوري الضيعة على تعليمه القراءة والكتابة والحساب بنفسه، الى جانب اللغة العربية والسريانية والتعاليم الدينية المسيحية. بعدها تنقل مارون عبود بين المدارس الداخلية في محيط القرية، الى ان شكل دخوله مدرسة مار يوحنا مارون في كفرحي في البترون عام 1900، مفترقا حاسما في مسيرته. صحيح ان عائلته ادخلته تلك المدرسة تحضيرا للحياة الكهنوتية، الا انه سرفض هذا الخيار، وسيمضي اربع سنوات في تلك المدرسة ستبزغ خلالها موهبته الابداعية. في تلك المدرسة تمكن من اللغة العربية تمكنا تاما، وسيبدأ نشر بعض قصائده في جريدة «الروضة». في السنة الدراسية الاخيرة فيها ستبرز نزعتة التهكمية واللاذعة، وشخصيته المتمردة، وسيحرض الطلاب على قوانين المدرسة الصارمة والمتحجرة.

اذا، في تلك المدرسة، بدأ يتبلور وعي مارون عبود واسلوبه الانتقادي في مقاربة مواضيعه، وسيشكل التحاقه بمدرسة الحكمة عام 1904 مناخا ملائما لتفتح مواهبه الشعرية والادبية. في تلك المدرسة حيث امضى سنتين، سيحتك بطلاب مولعين بالادب والشعر مثله امثال رشيد واحمد تقي الدين، وسعيد عقل الشهيد، بينما ستتولى تعليمه نخبة من الوجوه في مجالها امثال الخوري يوسف ابي صعب والمعلم سعيد الشرتوني، والامير يوسف شهاب.

في عام 1906 ستنتقل مسيرته المهنية في عالمي التدريس والصحافة ككاتب وناقد ادبي ورئيس تحرير عدد من الصحف من بينها «الروضة» و«النصر» و«الحكمة» حتى صار احد ابرز نقاد تلك الحقبة. قلم نقدي صريح ومباشر يُخشى جانبه، يخلع كتابا عن عروشهم وينصب اخرين مكانهم خصوصا في مجال الشعر والادب العربيين. حتى ان نقده كان يعرضه للتهديد والسباب والشتم. اذ وصف مرة بانه «الذنب الاعقف وصاحب الاذن الطويلة»، لكنه كان يتلقى هذه الاوصاف بنفسه الساخر، ويقول انها «الاسماء الحسنى»! هكذا، استحق لقب «شيخ النقاد» رغم ان الكاتب اللبناني ميخائيل نعيمة سبق عبود في هذا الاطار، حين اصدر كتابه «الغربال» في القاهرة عام 1920. الا ان نعيمة سرعان ما هجر النقد من اجل الابداع الادبي، تاركا الساحة خالية لمارون عبود.

في موازاة هذا النشاط النقدي، سيكسب عبود على اصدار الاعمال في القصة والادب والفكر والرواية، ناشرا فصولا خالدة في القصة. لعله رائدا في تصوير الريف والقرية اللبنانية بتقاليدها وعاداتها وتفصيلها وحياة القرويين ضمن قالب عربي فصيح تفنن فيه ايما تفنن، هو المتبحر في الادب واللغة العربيين، صاحب الثقافة الموسوعية والشاملة. تميز اسلوبه القصصي بانه واقعي ذو خصوصية فريدة استندت الى الفصحى السهلة الممتنعة والعامية، مع اشتقاق مفردات خاصة. كل ذلك ضمن مناخ من الفكاهة والدعابة والسخرية، ودقة الملاحظة والانتباه الى التفاصيل، وبراعة التشبيه والوصف، والاتكاء على الامثلة الشعبية والتراث التاريخي والفكري العربي والمحلي. اما في الشعر، فقد كان اسلوبه كلاسيكيا اعتمد فيه اوزان الخليل بن احمد الفراهيدي والقافية الواحدة. يعتبر النقاد كتابه «وجوه وحكايات» احدي بواكير الادب اللبناني الخالص حيث مزج بين الطابع المحلي الخاص وفصاحة اللغة العربية. علما ان كتاب فادي وديع حداد يضم اكثر من قصة من هذه المجموعة.



غلاف الكتاب.

شكّل نتاجه دعوة الى التحرر والتقدم والاصلاح ومواكبة الحضارة

لكن بغض النظر عن كل هذه العناصر الفنية، فهذا المعلم والصحافي والقاص و«اديب الشعب» لم يؤمن يوما بادب خال من رسالة انسانية ودعوة اخلاقية سامية. هذا الانسان الذي عايش مآسي الحرب العالمية الاولى والمجاعة التي ضربت لبنان وشهد ولادة لبنان الكبير والحرب العالمية الثانية ثم الاستقلال، عكس في ادبه هواجسه الانسانية والوطنية والقومية، وشكل نتاجه دعوة الى التحرر والتقدم والاصلاح ومواكبة الحضارة والتطور. مثلا، في كتابه «من الجراب»، وضع اسس بناء دولة جديدة عشية نيل لبنان استقلاله. اذ تطرق الى الانتخابات النيابية ودور ممثلي الشعب في توفير نوعية حياة افضل للمواطنين، مشددا على حق المرأة في الترشح، وعلى اهمية كليات الطب

وزيادة مخصصات التعليم. اما مجموعته القصصية «حبر على ورق» (1957) التي انتقى منها فادي وديع عبود قصتي «اقطاعية برلمانية» و«رسالة الى السماء»، فتطرق فيهما الى رجال السياسة الوصوليين الذين يكذبون من اجل الحصول على القدر الاكبر من الاصوات، كما قارب المأساة الفلسطينية من زاوية انسانية واخلاقية ودينية. في «احاديث القرية» و«وجوه وحكايات» و«اقزام وجبابرة»، برز ارتباطه الوثيق بالقرية اللبنانية وتصويرها بجوانبها المختلفة مظهرا المجتمع الريفي ببساطته وواقعيته وبظرافة شعبية نادرة فعلا، خصوصا عندما ينتقي شخصيات ريفية ساذجة في قرية ما - غالبا ما تكون من محيط مسقطه - و«المقابل» التي تتعرض لها في المجتمع الريفي.

طوال مسيرته، نال مارون عبود العديد من الاوسمة والجوائز، من بينها جائزة رئيس الجمهورية اللبنانية عام 1960، هو الذي وضع لبنة المرحلة الروائية الاولى في الادب اللبناني، واستحق ان يدخل نادي الرواد مع خليل تقي الدين وميخائيل نعيمة وغيرهما. يأتي كتاب فادي وديع عبود ليشكل عصاره وجرعة مكثفة لنتاج مارون عبود الادبي والقصصي والفكري، خصوصا للجيل الجديد الذي ربما لا يعرف شيئا عن ذلك الجزء من تاريخنا وذاكرتنا الادبية والابداعية. لعله نوع من المقبلات كي يشعر هذا الجيل بالفضول للتعمق في اعماله اكثر، خصوصا لناعية اعماله النقدية الكثيرة التي تستعيد اعلاما في الشعر والادب مثل كتابه «رواد النهضة الحديثة». في هذا العمل المرجعي، يستعيد مارون عبود المناخ ومرحلة الانحطاط التي عاشها العرب في القرن السابع عشر مع فرض اللغة التركية في الدوائر والمراسلات التركية. لكن زمرة من الكتاب والادباء والشعراء سيأخذون على عاتقهم مهمة احياء لغة المتنبي مثل احمد فارس الشدياق (1804-1887). يومها، اورد في مقدمة الكتاب معرّفا بهؤلاء القامات بانهم «جاهدوا جهادا حسنا في بناء النهضة التي نفاخر بها».